Journal of Ottoman Studies and Turkic World Research
Vol. 1 No. 1 (2026) PP 81-103

Samarkand in the History of the Turkic World: From Regional Structure to Integration into Islamic Civilization

Dina El- Sayed Muhammad Dwidar*,[1]

[1] Lecturer, Turkish Language Department, Faculty of Foreign languages, Misr University for Sciences and Technology, Giza, Egypt.

Received 1 Oct. 2025
Revised 22 Nov. 2025
Accepted 1 Dec. 2025

Published 1 Jan. 2026

Abstract: This study examines Samarkand as a key center in the history of the Turkic world in Central Asia, focusing on its regional structure before Islam, its role along major trade routes, and its transformation following the Islamic conquest and integration into Islamic civilization. The study argues that Samarkand was not merely a frontier city, but a major civilizational and political node in Transoxiana that connected the emerging Turkic world with broader economic and cultural networks.

It analyzes the city's diverse pre-Islamic social structure, the Islamic conquest under Qutayba ibn Muslim, and the gradual political and religious reorganization that followed. The study also highlights Samarkand's later role in the Islamic Turkic world as an intellectual and economic center, particularly in crafts and knowledge transmission, including paper production.

The study concludes that Samarkand served as a major bridge between the Turkic world and Islamic civilization, contributing to the formation of a shared cultural space in Central Asia.

Keywords: Samarkand, Turkic world, Transoxiana, Islamic conquest, Qutayba ibn Muslim, Silk Road, Central Asia, cultural transformation.

Cited as:
Dina El- Sayed Muhammad Dwidar, *Samarkand in the History of the Turkic World: From Regional Structure to Integration into Islamic Civilization,*
J. Ott. Stu. Tur. Wor. Res. Vol. 1, No. 1 (2026) PP 81-103, DOI: 10.18576/jostwr/010105

*Corresponding author: E-mail: Dina.Dowidar@must.edu.eg

سمرقند في تاريخ العالم التركي: من البنية الإقليمية إلى الاندماج في الحضارة الإسلامية

دينا السيد محمد دويدار

مدرس بقسم اللغة التركية- كلية اللغات والترجمة/ جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا- الجيزة - مصر

المستخلص: تتناول هذه الدراسة مدينة سمرقند بوصفها أحد المراكز المحورية في تاريخ العالم التركي في آسيا الوسطى، من خلال تحليل بنيتها الإقليمية قبل الإسلام، ودورها على طرق التجارة الكبرى، ثم تتبع مسار تحولها بعد الفتح الإسلامي واندماجها في الحضارة الإسلامية. وتنطلق الدراسة من فكرة أن سمرقند لم تكن مجرد مدينة حدودية، بل عقدة حضارية وسياسية أساسية في فضاء ما وراء النهر، أسهمت في ربط العالم التركي الناشئ بشبكات أوسع من التفاعل الاقتصادي والثقافي.

وتبحث الدراسة في تركيبها الاجتماعي المتعدد قبل الإسلام، ثم في طبيعة الفتح الإسلامي بقيادة قتيبة بن مسلم، وما ترتب عليه من إعادة تنظيم سياسية ودينية تدريجية للمدينة. كما تبرز الدراسة دور سمرقند لاحقًا في العالم التركي الإسلامي بوصفها مركزًا علميًا واقتصاديًا، خاصة في مجال الصناعات ونقل المعرفة، بما في ذلك صناعة الورق.

وتخلص الدراسة إلى أن سمرقند شكّلت نقطة اتصال رئيسة بين العالم التركي والحضارة الإسلامية، وأسهمت في بناء فضاء حضاري مشترك في آسيا الوسطى.

الكلمات المفتاحية: سمرقند، العالم التركي، ما وراء النهر، الفتح الإسلامي، قتيبة بن مسلم، طريق الحرير، آسيا الوسطى، التحول الحضاري.

المقدمه

تتناول هذه الدراسة مدينة سمرقند في سياق تاريخ العالم التركي، من خلال تحليل بنيتها الإقليمية قبل الإسلام، ثم تتبع مسار تحولها بعد الفتح الإسلامي، وصولًا إلى اندماجها في إطار الحضارة الإسلامية. ويأتي اختيار هذا الموضوع انطلاقًا من أن سمرقند تمثل نموذجًا واضحًا لمدينة لعبت دورًا محوريًا في الربط بين المجال التركي في آسيا الوسطى والعالم الإسلامي.

وقد ارتبطت أهمية سمرقند بموقعها في إقليم ما وراء النهر، وبوقوعها على طريق الحرير، وهو ما منحها دورًا اقتصاديًا وسيطًا بين مناطق الإنتاج في الشرق ومراكز عناصر سكانية وثقافية متعددة، مما هيأ المدينة لاستقبال التحولات التي شهدها القرن الأول الهجري.

ومع الفتح الإسلامي، دخلت سمرقند مرحلة جديدة، تمثلت في إعادة تنظيم بنيتها السياسية والدينية، واندماجها تدريجيًا في المجال الإسلامي. ولم يكن هذا التحول قائمًا على القطيعة، بل جاء في إطار تدرجي حافظ على كثير من عناصر البنية السابقة، مع إدخال عناصر جديدة مرتبطة بالإدارة الإسلامية والنشاط الاقتصادي الواسع.

وتسعى هذه الدراسة إلى تحليل هذا المسار، من خلال الربط بين الموقع الجغرافي، والدور الاقتصادي، وطبيعة الفتح الإسلامي، وأثر ذلك في تحول سمرقند من مركز إقليمي إلى عنصر فاعل في العالم التركي الإسلامي.

أهمية الموضوع

تتمثل أهمية هذا الموضوع في كونه يعالج مدينة كان لها دور أساسي في تاريخ العالم التركي، وفي اندماجه ضمن الحضارة الإسلامية. فسمرقند تمثل حلقة وصل بين المجال التركي في آسيا الوسطى والمراكز الإسلامية في خراسان والعراق، وهو ما يجعل دراستها ضرورية لفهم طبيعة هذا الاتصال.

كما تسهم الدراسة في إبراز دور المدن الواقعة على طريق الحرير في تشكيل العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الشرق والغرب، وبيان أثر ذلك في التحولات الحضارية التي شهدتها المنطقة.

وتكمن أهميتها أيضًا في تناولها لموضوع يجمع بين الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بما يتيح تقديم تفسير متكامل لتحول المدينة عبر مراحل مختلفة.

2026 @ Copyright

إشكالية البحث

تنبع إشكالية البحث حول السؤال الآتي:

كيف تحولت سمرقند من مركز إقليمي في ما وراء النهر إلى مدينة ذات دور محوري في العالم التركي الإسلامي؟

ويتفرع عن ذلك عدد من الأسئلة:

- ما طبيعة البنية السياسية والاقتصادية لسمرقند قبل الفتح الإسلامي؟
- كيف تم الفتح الإسلامي للمدينة، وما خصائصه؟
- ما أبرز التحولات التي شهدتها سمرقند بعد الفتح على المستوى الديني والاجتماعي؟
- ما دور النشاط الاقتصادي في دعم مكانة المدينة؟
- كيف أسهمت سمرقند في تشكيل المجال التركي الإسلامي؟

أهداف البحث

يهدف البحث إلى:

- بيان الخصائص الأساسية لسمرقند قبل الفتح الإسلامي.
- تحليل طبيعة الفتح الإسلامي للمدينة.
- توضيح مظاهر التحول الديني والاجتماعي بعد الفتح.
- إبراز دور النشاط الاقتصادي، خاصة الصناعي، في تطور المدينة.
- تحديد مكانة سمرقند في العالم التركي الإسلامي.

منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي في عرض معطيات المصادر الجغرافية والتاريخية، مع الاستفادة منها في تفسير البنية الاقتصادية والاجتماعية للمدينة.

كما يعتمد على المنهج التاريخي التحليلي، من خلال تتبع تطور سمرقند عبر المراحل الزمنية المختلفة، وتحليل العوامل التي أسهمت في هذا التطور.

ويركز البحث على الربط بين الأحداث التاريخية والعوامل الجغرافية والاقتصادية، بهدف تقديم تفسير متماسك للتحول الذي شهدته سمرقند.

مصادر البحث

اعتمدت الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع، من أهمها:

- المصادر التاريخية والجغرافية العربية، مثل: الطبري، والبلاذري، وابن الأثير، وابن حوقل، والمقدسي، وياقوت الحموي.
- كتب الرحلات، وخاصة رحلة ابن بطوطة.
- الدراسات الحديثة العربية والتركية والإنجليزية التي تناولت تاريخ آسيا الوسطى، وطريق الحرير، والعالم التركي.

وقد تم التعامل مع هذه المصادر بالمقارنة والتحليل، بما يخدم موضوع الدراسة ويعزز نتائجها.

وفي سبيل تحقيق الهدف المنشود للبحث قسمت الباحثة بحثها إلى مقدمة وتتضمن إبراز أهمية الموضوع وأهدافه والمنهج المتبع وخطة البحث، ثم قسمت الدراسة إلى خمسة محاور على النحو التالي:

المحور الأول: سمرقند قبل الفتح الإسلامي.

المحور الثاني: الفتح الإسلامي لسمرقند.

المحور الثالث: النتائج المباشرة للفتح.

المحور الرابع: النشاط الاقتصادي والصناعي في سمرقند.

المحور الخامس: مكانة سمرقند في العالم التركي الإسلامي.

و بعد ذالك تطرقت الباحثة في الخاتمة إلى أهم النتائج التي توصلت إليها .

وفي الختام آمل أن يضيف هذا البحث شيئًا جديدًا في مجال الدراسات الأدبية في الأدب التركي.

والله ولي التوفيق

1. سمرقند قبل الفتح الإسلامي

تُعَدّ سمرقند واحدةً من أعرق مدن العالم القديم، وأكثرها حضورًا في الذاكرة التاريخية لآسيا الوسطى، إذ لم تكن مدينةً عمرانية فحسب، بل مثلت عبر العصور مركزًا حضاريًا كبيرًا التقت عنده طرق التجارة، وتقاطعت فيه الثقافات، وتجاورت داخله أنماط متعددة من الاجتماع البشري. وقد شكّل موقعها في إقليم ما وراء النهر (Transoxiana)عنصرًا حاسمًا في صياغة هويتها التاريخية، حتى غدت مركزًا سياسيًا واقتصاديًا بارزًا قبل الإسلام، ثم تحولت بعد الفتح الإسلامي إلى إحدى الحواضر الكبرى في المشرق الإسلامي.

وقد تنوعت الدراسات العلمية التي تناولت سمرقند؛ فركّزت بعض الدراسات على ازدهارها في العصر التيموري، ولا سيما في ظل حكم تيمورلنك، حين أصبحت عاصمةً للإمبراطورية التيمورية ومركزًا فنيًا وعلميًا متميزًا. غير أن العودة إلى المراحل الأسبق من تاريخ المدينة، وبخاصة نشأتها الأولى وتطورها السياسي والاجتماعي قبل الفتح الإسلامي، تمثل مدخلًا ضروريًا لفهم المكانة التي تبوأتها لاحقًا في إطار الحضارة الإسلامية. فدراسة البدايات التأسيسية تكشف عن العناصر التي هيأت المدينة للاندماج في عالم جديد، وأسهمت في إعادة توجيه طاقاتها العمرانية والاقتصادية نحو أفق أوسع.

لقد ارتبط ازدهار سمرقند بعاملين متلازمين: أولهما موقعها في قلب إقليم ما وراء النهر، وثانيهما اندماجها في الدولة الإسلامية بعد الفتح. فالموقع كان عنصرًا فاعلًا في تشكيل بنيتها الاقتصادية والاجتماعية؛ إذ قامت المدينة على شبكة من الطرق التجارية الكبرى، أبرزها طريق الحرير، الذي ربط الشرق الأقصى ببلاد فارس والعراق والشام. وقد أتاح هذا الموقع المتميز لسمرقند أن تكون نقطة التقاء حضاري بين عوالم متعددة، وأن تستفيد من حركة التبادل التجاري والثقافي التي عبرت أراضيها قرونًا متتالية[1].

أما العامل الثاني، وهو الفتح الإسلامي، فلم يكن حدثًا عسكريًا منفصلًا عن سياقه الحضاري، بل مثّل نقطة تحوّل أعادت تشكيل البنية الدينية والاجتماعية والعلمية للمدينة. فقد نقلها من إطارها المحلي–الإقليمي إلى فضاء أوسع هو فضاء الحضارة الإسلامية، وأدخلها في شبكة من العلاقات السياسية والثقافية امتدت من خراسان شرقًا إلى العراق والشام غربًا. ومن ثمّ، فإن الفتح لا يُقرأ بوصفه واقعةً حربية فحسب، بل بوصفه لحظة انتقال تاريخي أفضت إلى إعادة بناء الهوية الحضارية لسمرقند[2].

وقد أدرك الجغرافيون والمؤرخون المسلمون هذه المكانة المبكرة للمدينة، فحرصوا على إدراجها في مصنفاتهم بوصفها مدينةً

[1] Barthold, Vasilii V. *Orta Asya Türk Tarihi Hakkında Dersler*. Ankara: Türk Tarih Kurumu Yayınları, 1990. 212

[2] Alyılmaz, Cengiz. "Eski Türk Şehirleri ve Semerkant." *Atatürk Üniversitesi Türkiyat Araştırmaları Enstitüsü Dergisi* ،sayı 20 (2002). 27

جامعة بين الحصانة الجغرافية، والثراء الاقتصادي، والاستعداد الحضاري.

فقد وصفها الجغرافيون والمؤرخون المسلمون بأنها قصبة الصُّغد وقلب إقليم ما وراء النهر، وأبرزوا خصوبة أرضها وغزارة مياهها وكثرة بساتينها، وربطوا بين هذه العناصر الطبيعية وبين ازدهارها العمراني، كما أشاروا إلى أسوارها المنيعة وتنظيمها الحضري، وإلى نشاطها التجاري الواسع، الأمر الذي يكشف عن وعي مبكر بأهمية العوامل الطبيعية والاقتصادية في صناعة التفوق الحضاري.

ولهذا فإن دراسة سمرقند قبل الإسلام لا تنفصل عن تحليل بنائها السياسي والاجتماعي في تلك المرحلة؛ فقد كانت المدينة جزءًا من إقليم متشابك، خضع لتأثيرات قوى متعددة، وتداخلت فيه عناصر صُغدية وفارسية وتركية[3]، وهو ما أفرز مجتمعًا متنوعًا من حيث الدين والثقافة، وأسهم في تكوين بيئة قابلة للتفاعل مع التحولات الكبرى التي شهدها القرن الأول الهجري. وعندما وقع الفتح الإسلامي، لم يكن المجتمع السمرقندي صفحةً بيضاء، بل كان كيانًا حضاريًا له تقاليده ومؤسساته، وهو ما جعل عملية التحول لاحقًا أكثر تعقيدًا وثراءً[4].

1.1. مكانة سمرقند في إقليم ما وراء النهر

أولًا: وقوعها في إقليم ما وراء النهر وأثره في مكانتها

يقول صاحب أحسن التقاسيم: «سمرقند قصبة الصُّغْدُ ومصر الإقليم[5] بلد سريّ جليل عتيق، ومصر بهيّ رشيق، رخيّ كثير الرقيق، وماء غزير بنهر عميق، بناء قويّ سنيّ وثيق، ودرس كثير لأهل الفريق، وعيش هنيّ إليها الطريق، وحمل المتاع من كلّ فجّ عميق، علوم كثير وصدر نفيق، وخيل ورجل ومال دفيق، ذو رساتيق جليلة ومدن نفيسة وأشجار وأنهار، وتنّاء وتجار، في الصيف جنّه، أهل جماعة وسنّة، ومعروف وصدقه، وحزم وهمّه»[6] فنرى المقدسي يؤكد على المكانة المركزية لسمرقند على مستويين: محلي وإقليمي. فكونها "قصبة الصُّغْدُ " يعني أنها عاصمة إقليم الصُّغْدُ وأهم مدنه. أما وصفها بأنها "مصر الإقليم" فيحمل دلالة أعمق، إذ أن "المصر" في المصطلح الجغرافي الإسلامي هو المدينة الكبرى التي تجمع وظائف متعددة: سياسية، اقتصادية، ثقافية. وهو ما يؤكد القيمة الضمنية لسمرقند وسط الأمصار الكبرى في العالم الإسلامي، وهو ما يضع سمرقند في مصاف المدن العظمى.

ويقول صاحب معجم البلدان: "سَمَرْقَنْدُ: بفتح أوّله وثانيه، ويقال لها بالعربيّة سمران: بلد معروف مشهور، قيل: إنّه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر، وهو قصبة الصُّغد مبنيّة على جنوبي وادي الصُّغد مرتفعة عليه ".[7]

ويكشف نص صاحب معجم البلدان عن شهرة سمرقند الواسعة عند الجغرافيين المسلمين، وربطها بإقليم ما وراء النهر- كما يؤكد على عدها «قصبة الصُّغد»، أي مركزه الإداري والحضاري.

كما يعود صاحب معجم البلدان للتوكيد على طبيعة الإقليم الذي تنتمي إليه سمرقند، إذ جاء في معجم البلدان: "الصُّغْدُ: ... وهي كورة عجيبة قصبتها سمرقند... وقيل: جنان الدنيا أربع: غوطة دمشق وصُغد سمرقند ونهر الأبلّة وشعب بوّان... وهي من أطيب أرض الله، كثيرة الأشجار غزيرة الأنهار متجاوبة الأطيار"[8]

وفي نقل ياقوت الحموي لوصف سمرقند بأنها من «جنان الدنيا» لا يعد تعبيرًا بلاغيًا، بل يعكس إدراكًا لخصوبة الإقليم وغناه المائي والزراعي. فالبيئة الطبيعية هنا ليست خلفية صامتة، بل عنصر مؤسس للعمران والاستقرار. وارتباط سمرقند بإقليمٍ يوصف بأنه «من أطيب أرض الله» يفسّر قابليتها للتحول إلى مركز اقتصادي وعلمي لاحقًا.

كما أن وصفها بأنها «قصبة الصُّغْدُ» يدل على مركزيتها السياسية داخل الإقليم، وهو ما منحها ثقلًا استراتيجيًا يتجاوز حدودها المحلية.

يؤكد ابن حوقل مركزيتها بقوله: "وسمرقند مدينة جليلة الشأن، كثيرة الخيرات، متصلة العمارة بالقرى والضياع»[9]. ويذكر

---

[3] Hansen, Valerie. *The Silk Road: A New History*. Oxford: Oxford University Press, 2012 .131

[4] Arslan, Hammet. "Samarkand: Cultural and Scientific Center of Central Asia." *Afro Eurasian Studies* 8, no. 2 (2022). 119

[5] المصر: كلّ بلد حلّه السلطان الأعظم وجمعت إليه الدواوين وقلّدت منه الأعمال وأضيف إليه مدن الإقليم مثل دمشق والقيروان وشيراز" . المقدسي، محمد بن أحمد البشاري . *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم* .تحقيق محمد مخزوم. بيروت: دار صادر، 1987.. ص47

[6] المقدسي، محمد بن أحمد البشاري .*أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*. ص 278

[7] ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله .معجم *البلدان* .دار صادر، بيروت، ط2، 1995م. 246/3.

[8] معجم البلدان، 249/3.

[9] ابن حوقل، محمد بن حوقل النصيبي .*صورة الأرض* .دار صادر، أفست ليدن، بيروت، ط1، 1938 م، 497/2

كذلك:"وليس بما وراء النهر مدينة أجلّ ولا أحصن منها»[10].

ثانيًا: موقعها على طريق الحرير وأثره في بنيتها الاقتصادية

إلى جانب موقعها في قلب إقليم ما وراء النهر، شكّل اتصال سمرقند المباشر بطريق الحرير أحد أهم العوامل الحاسمة في صياغة بنيتها الاقتصادية، بل يمكن القول إن هذا العامل كان بمنزلة الإطار الحركي الذي انتظمت داخله مختلف أنشطتها الإنتاجية والتجارية. فلم تكن سمرقند مجرد نقطة جغرافية تقع على هذا الطريق، بل كانت عقدة مركزية ضمن شبكة معقدة من المسارات البرية التي ربطت الشرق الأقصى بآسيا الغربية والعالم الإسلامي[11].

لقد أتاح هذا الموقع للمدينة أن تؤدي دور الوسيط التجاري بين الصين وبلاد فارس والعراق والشام، وهو دور لم يكن سكونيًا، بل اتسم بالحيوية والاستمرارية؛ إذ كانت القوافل التجارية تمر بها محمّلةً بمختلف أنواع السلع، ثم يُعاد توزيع هذه السلع عبرها إلى أقاليم أخرى. ومن ثمّ، فإن سمرقند لم تكن محطة عبور (Transit Point) بالمعنى الضيق، بل مركز إعادة توزيع (Redistribution Center)، وهو ما يفسر تضخم ثروتها واتساع نشاطها الاقتصادي[12].

ويؤكد ابن حوقل هذا الدور بقوله: «تُجلب إليها التجارات من الصين وبلاد الترك، ومنها تتفرق إلى خراسان والعراق»[13]، وهو نص يكشف بوضوح عن طبيعة الحركة التجارية الثنائية الاتجاه، حيث تمثل المدينة نقطة استقبال وإرسال في آنٍ واحد. كما يضيف أن أهلها «أهل يسار وتجارة واسعة»[14]، وهو ما يدل على أن النشاط التجاري لم يكن محصورًا في فئة محدودة، بل كان ظاهرة اجتماعية عامة انعكست على مستوى الثراء والعيش.

ولا يقتصر الأمر على حجم التجارة، بل يمتد إلى تنظيمها الداخلي؛ إذ يشير المقدسي إلى أن للمدينة «أسواقًا حسنة مرتبة كثيرة الخلق»[15]، وهو وصف يدل على وجود بنية سوقية منظمة، تقوم على توزيع الأنشطة الحرفية والتجارية، بما يعكس درجة من التخصص الاقتصادي. كما أن هذا التنظيم يشير إلى وجود سلطة محلية قادرة على ضبط النشاط الاقتصادي وإدارته.

ويعزز ياقوت الحموي هذه الصورة حين يذكر أنها كانت «مقصد التجار من أقطار الأرض»[16]، وأنه «يبها من أصناف المتاع ما لا يكاد يوجد في غيرها»[17]، وهو ما يدل على تنوع السلع وتعدد مصادرها، الأمر الذي يعكس اندماج المدينة في شبكة تجارة عالمية.

أما وصف ابن بطوطة لسمرقند، فيكشف جانبًا آخر من هذا الازدهار، إذ يربط بين النشاط التجاري والبنية الزراعية، من خلال حديثه عن النواعير والبساتين[18]. هو ما يدل على تكامل الاقتصاد المحلي، حيث لم تكن التجارة منفصلة عن الإنتاج الزراعي، بل كانت قائمة عليه وممتدة منه.

وقد أسهم هذا الموقع التجاري في إدخال سمرقند ضمن ما يمكن تسميته بشبكة التجارة العالمية في العصور الوسطى، حيث لم تكن العلاقات الاقتصادية محصورة في نطاق جغرافي ضيق، بل كانت ممتدة عبر مسافات طويلة، تربط بين مراكز الإنتاج والاستهلاك عبر وسائط متعددة[19]

ومن الناحية التحليلية، يمكن تفسير هذا الدور الاقتصادي لسمرقند من خلال ثلاثة أبعاد مترابطة:

1- **البعد الوسيط:(Intermediary Role)** حيث أدّت المدينة وظيفة الوسيط بين مناطق الإنتاج في الشرق (الصين وبلاد الترك) ومناطق الاستهلاك في الغرب الإسلامي. وقد منحها هذا الدور قدرة على التحكم في مسارات السلع، وبالتالي تحقيق أرباح تجارية كبيرة.

---

[10] المصدر نفسه،489/2

[11] Valerie Hansen, *The Silk Road: A New History* ,5–10

[12] Philip D. Curtin, *Cross-Cultural Trade in World History* (Cambridge: Cambridge University Press, 1984), 90.

[13] ابن حوقل، محمد بن حوقل النصيبي .*صورة الأرض*، 498/2

[14] المصدر نفسه، ص 498/2

[15] المقدسي، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، ص 279

[16] ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، 250/3

[17] المصدر نفسه، 250/3

[18] ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي .*تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار* .تحقيق عبد الهادي التازي. الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، 1997 . 37/3

[19] Richard Foltz, *Religions of the Silk Road* (New York: Palgrave Macmillan, 2010), 89.

2026 @ Copyright

2- **البعد التراكمي:(Accumulation)** أسهمت حركة التجارة المستمرة في تراكم الثروة داخل المدينة، وهو ما انعكس في اتساع عمرانها وازدهار أسواقها، كما أتاح نشوء طبقة من التجار ذوي النفوذ الاقتصادي.

3- **البعد التحويلي:(Transformative)** لم يقتصر دور سمرقند على نقل السلع، بل شمل أيضًا تحويلها وإعادة إنتاجها، سواء عبر الصناعات الحرفية أو من خلال إدخال تعديلات على المواد الخام، وهو ما مهّد لاحقًا لظهور صناعات مميزة، مثل صناعة الورق[20].

إن هذه الأبعاد مجتمعة تكشف أن سمرقند كانت تمثل نموذجًا متقدمًا للمدينة التجارية في العصور الوسطى، حيث تداخلت فيها وظائف الإنتاج والتوزيع والاستهلاك ضمن منظومة اقتصادية متكاملة.

كما أن هذا الدور التجاري لم يكن منعزلًا عن البنية الاجتماعية والثقافية، بل أسهم في تشكيل مجتمع منفتح، اعتاد التعامل مع الغرباء والتفاعل مع ثقافات متعددة، وهو ما يفسر ما أشار إليه ابن بطوطة من مكارم أخلاق أهلها وحسن استقبالهم للغريب[21].

وعليه، يمكن القول إن موقع سمرقند على طريق الحرير لم يمنحها مجرد أهمية اقتصادية، بل أسّس لبنية حضارية مركبة، كان لها أثر بالغ في قدرتها على التكيف مع التحولات الكبرى، وفي مقدمتها اندماجها في الحضارة الإسلامية بعد الفتح. فالتجارة هنا لم تكن نشاطًا اقتصاديًا فحسب، بل كانت أداة لإعادة تشكيل المجتمع، ووسيلة لربط المدينة بشبكة عالمية من العلاقات، وهو ما منحها خصوصيتها داخل مدن ما وراء النهر

2.1. المجتمع والتركيب السكاني في سمرقند قبل الفتح الإسلامي

تُعدّ دراسة المجتمع السمرقندي قبل الفتح الإسلامي مدخلًا لا غنى عنه لفهم ما شهدته المدينة من تحولات لاحقة؛ إذ إن ما يطرأ على المدن من تغيرات كبرى لا يقع في فراغ، وإنما يجري في إطار بناء سابق له ملامحه وخصائصه. وقد كانت سمرقند، بحكم موقعها في قلب إقليم ما وراء النهر واتصالها بطريق الحرير، موضع التقاء لأجناس متعددة، ومجالًا لتجاور أنماط مختلفة من الحياة والعقيدة، الأمر الذي أضفى على مجتمعها طابعًا خاصًا من التعدد والتداخل[22].

أولًا: العناصر الصُّغدية والتركية

غلب على سمرقند قبل الإسلام العنصر الصُّغدي، إذ كانت المدينة قصبة إقليم الصّغد ومركزه، وقد عُرف أهل هذا الإقليم بالنشاط في التجارة، حتى صاروا من أشهر من تولّى حمل السلع ونقلها بين أقاليم الشرق والغرب. ولم يكن هذا النشاط مقتصرًا على البيع والشراء، بل تجاوزه إلى الإقامة في المدن البعيدة، وإنشاء روابط تجارية ممتدة، مما جعلهم واسطة اتصال بين الصين وبلاد فارس والعراق[23].

وقد انعكس هذا الحال على طبيعة المجتمع في سمرقند، فغلب عليه الطابع الحضري، وظهرت فيه طبقة من التجار وأرباب الحرف، وكان لذلك أثر في ازدهار الأسواق واتساع العمران، على نحو ما ألمح إليه الجغرافيون المسلمون في وصفهم للمدينة [24].

وإلى جانب هذا العنصر، حضر العنصر التركي حضورًا ظاهرًا في نواحي ما وراء النهر، نتيجة لتحركات القبائل التركية في تلك الجهات، وما كان بينها وبين أهل الصُّغد من صلات، تارةً في صورة غلبة وسيطرة، وتارةً في صورة مجاورة وتداخل[25].

ولم تكن العلاقة بين الفريقين على حال واحدة، بل تباينت بحسب الظروف، غير أن الثابت أن هذا الاجتماع أوجد في سمرقند مجتمعًا يجمع بين أهل الحضر من التجار والصناع، وبين أهل القوة والبأس من القبائل، وهو ما أكسب المدينة قدرًا من المنعة، إلى جانب ما كان لها من ثراء[26].

ومن ثمّ، فإن سمرقند لم تكن مدينة خالصة لطابع واحد، بل كانت موضع اجتماع لعناصر مختلفة، لكل منها أثره في تشكيل الحياة

---

[20] Jonathan M. Bloom, *Paper Before Print* (New Haven: Yale University Press, 2001), 47–52.

[21] ابن بطوطة، *تحفة النظار*، 37/3

[22] Valerie Hansen, *The Silk Road* .98.

[23] Christopher I. Beckwith, *Empires of the Silk Road* (Princeton: Princeton University Press, 2009) , 123.

[24] المقدسي، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*،279

[25] Peter B. Golden, *An Introduction to the History of the Turkic Peoples* (Wiesbaden: Otto Harrassowitz, 1992), 135.

[26] Zeki Velidi Togan, *Umumi Türk Tarihine Giriş* (İstanbul: Enderun Kitabevi, 1981), 210.

العامة، وهو ما يُعين على فهم ما طرأ عليها بعد ذلك من تحولات.

ثانيًا: الوضع الديني قبل الإسلام

لم يكن التعدد في سمرقند مقصورًا على السكان وأصولهم، بل شمل كذلك ما كان عليه الناس من أديان ومعتقدات، إذ عُرفت هذه البلاد قبل الإسلام بتنوع دياناتها، تبعًا لما كان يمر بها من طرق، وما يفد إليها من تجار وأمم.

فقد كانت المجوسية (الزرادشتية) حاضرة في الإقليم، بوصفها من أديان الفرس، إلى جانب وجود ديانات أخرى وفدت من الشرق، مثل البوذية والمانوية، فضلًا عن النصرانية في بعض جهات ما وراء النهر[27].

وقد أشار المقدسي إلى هذا التعدد بقوله إن بسمرقند «بقايا من المجوس وغيرهم»[28].وهو نص يدل على أن آثار تلك الديانات كانت قائمة حتى بعد دخول الإسلام، مما يعني رسوخها في المرحلة السابقة.

ولا يُفهم من هذا التعدد أنه كان موضع اضطراب دائم، بل يظهر من مجمل الأخبار أن هذه الأديان كانت متجاورة في المدينة، وأن أهلها قد ألفوا هذا الاجتماع، بحكم ما نشأ بينهم من مصالح ومعايش مشتركة، ولا سيما في مجال التجارة[29].

وقد كان لهذا الحال أثر بيّن في تهيئة المجتمع لقبول ما يطرأ عليه من تغير، إذ إن تعوّد الناس على الاختلاف في المعتقد يجعلهم ألين جانبًا في التعامل مع ما يستجد من دعوات، وأقدر على استيعابه.

كما أن اتصال سمرقند بطريق الحرير لم يكن مقتصرًا على انتقال السلع، بل كان طريقًا لانتقال الأفكار والمعتقدات أيضًا، فكان التاجر يحمل معه بضاعته، ويحمل معها ما يدين به، فيجد له في المدينة من يقبله أو يتأثر به، وبذلك أصبحت سمرقند موضع التقاء في الفكر كما هي موضع التقاء في التجارة[30].

يتبين من هذا العرض أن المجتمع السمرقندي قبل الفتح الإسلامي كان قائمًا على تعدد في عناصره وتنوع في معتقداته، وقد نشأ هذا التعدد عن موقع المدينة واتصالها بطرق التجارة الكبرى.

فالعنصر الصُّغدي بما عُرف به من نشاط في التجارة، والعنصر التركي بما اتصف به من قوة ومنعة، اجتمعا في بناء مجتمع له خصائصه المميزة، كما أن تعدد الأديان أوجد بيئة اعتادت الاختلاف والتجاور.

ومن ثمّ، فإن هذا المجتمع بما فيه من خصائص، كان مهيأً لأن يدخل في طور جديد بعد الفتح الإسلامي، دون أن يكون ذلك خروجًا مفاجئًا عن ماضيه، بل امتدادًا لمسار تشكّل عبر مراحل سابقة.

2. الفتح الإسلامي لسمرقند

يمثل الفتح الإسلامي لسمرقند إحدى المراحل المهمة في تاريخ إقليم ما وراء النهر، إذ لم يكن مجرد حادث عسكري محدود، بل كان نقطة تحول في مسار المدينة التي عرفت قبل الإسلام موقعًا متميزًا بين مدن الصُّغد، وارتبطت منذ وقت مبكر بشبكات التجارة الكبرى التي تصل بين الصين وبلاد فارس والعراق. وقد اكتسبت سمرقند هذه الأهمية من موقعها الجغرافي ومن طبيعة عمرانها ونشاطها الاقتصادي، الأمر الذي جعلها محط أنظار القوى السياسية المتعاقبة في الإقليم[31].

وعندما دخل المسلمون هذا الإقليم في أواخر القرن الأول الهجري، كان هدفهم تثبيت الاستقرار في خراسان وما وراءها، وتأمين الطرق التجارية، وربط هذه المناطق بالمجال الإسلامي الذي امتد شرقًا بسرعة ملحوظة في العصر الأموي. وكان من أبرز القادة الذين اضطلعوا بهذا الدور القائد الأموي قتيبة بن مسلم الباهلي الذي ارتبط اسمه بفتح أغلب مدن ما وراء النهر، ومنها سمرقند[32].

غير أن هذا الفتح لم يكن بسيطًا أو سريعًا، بل جاء نتيجة مراحل متعددة من التقدم العسكري والتسويات السياسية، في بيئة جغرافية

---

[27] Richard Foltz, *Religions of the Silk Road* , 70–85.

[28] المقدسي، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*،278

[29] Philip D. Curtin, *Cross-Cultural Trade in World History* (Cambridge: Cambridge University Press, 1984), 145.

[30] Valerie Hansen, *The Silk Road*, 112.

[31] ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، 214/3

[32] الطبري، محمد بن جرير *تاريخ الرسل والملوك* .تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف، 1967م. 410/5

2026 @ Copyright

صعبة، ومدن محصنة، ومجتمع له خبرة طويلة في التنظيم والدفاع والتجارة[33]

1.2. حملات قتيبة بن مسلم الباهلي

أولًا: الظروف العامة قبل الفتح

قبل أن تبدأ الحملات الإسلامية المنظمة نحو سمرقند، كان إقليم ما وراء النهر يعيش حالة من التوازن السياسي غير المستقر، إذ كانت المدن الكبرى مثل بخارى وسمرقند وخوارزم تخضع لنفوذ ملوك محليين، يرتبط بعضهم بقوى خارجية كالإمبراطورية الصينية من الشرق، وبقايا النفوذ الفارسي من الغرب[34].

وقد شكّل هذا الوضع شبكة معقدة من العلاقات السياسية، جعلت السيطرة على الإقليم أمرًا يتطلب قوة عسكرية منظمة وخبرة في إدارة الحصار والتفاوض في آن واحد. ومن هنا جاءت أهمية الدور الذي قام به الأمويون في خراسان، باعتبارها قاعدة انطلاق نحو الشرق[35].

وكان تعيين قتيبة بن مسلم الباهلي واليًا على خراسان نقطة تحول في تاريخ الفتح الإسلامي في المنطقة، إذ امتاز بسياسة تجمع بين الحزم العسكري والتنظيم الإداري، مما جعله قادرًا على قيادة حملات طويلة في بيئة معقدة[36].

ثانيًا: بدايات التوجه نحو ما وراء النهر

بدأت حركة الفتح نحو ما وراء النهر تدريجيًا، حيث ركز المسلمون في البداية على تثبيت مواقعهم في خراسان، ثم التوسع نحو المناطق الشرقية تدريجيًا. وكانت المدن القريبة من نهر جيحون هي أولى مناطق الاحتكاك، قبل الوصول إلى عمق الإقليم حيث تقع سمرقند[37].

وقد كانت سمرقند في هذه المرحلة تمثل مركزًا سياسيًا مهمًا لإقليم الصغد، بما لها من أسوار قوية ونظام داخلي يعتمد على طبقة من الحكام المحليين والتجار المؤثرين، مما جعل اقتحامها يحتاج إلى إعداد طويل[38].

وتشير المصادر إلى أن قتيبة بن مسلم لم يندفع مباشرة إلى المدينة، بل بدأ بفتح المدن المحيطة بها لعزلها تدريجيًا، وهو أسلوب عسكري معروف في حروب الحصار، يقوم على تقليل الدعم الخارجي قبل مواجهة المركز[39].

ثالثًا: الحصار والضغط العسكري على سمرقند

عندما وصلت الحملات الإسلامية إلى سمرقند، كانت المدينة قد استعدت للدفاع عنها، مستفيدة من أسوارها ونظامها العمراني المحكم، إضافة إلى موقعها الذي يسمح لها بالتحكم في الطرق المحيطة بها[40].

وقد استمر الحصار فترة ليست قصيرة، تخللتها اشتباكات ومفاوضات، وهو ما يعكس طبيعة العلاقة بين الطرفين، إذ لم يكن الهدف دائمًا الإبادة أو التدمير، بل الوصول إلى صيغة سياسية تضمن السيطرة والاستقرار[41].

ويذكر ياقوت الحموي أن دخول سمرقند كان بعد قتال شديد، وهو وصف يدل على أن المدينة لم تسقط بسهولة، بل خضعت لسلسلة من المواجهات قبل الوصول إلى الصلح.[42]

كما تشير بعض الروايات إلى أن القائد المسلم كان يعرض الصلح في مراحل معينة، ثم يعود القتال عند نقض الاتفاق، وهو ما

---

[33] Hugh Kennedy, *The Great Arab Conquests* (London: Da Capo Press, 2007), 210–212

[34] الطبري، محمد بن جرير *تاريخ الرسل والملوك*.412/5

[35] Hugh Kennedy, 213.

[36] الطبري، محمد بن جرير *تاريخ الرسل والملوك*.415/5

[37] C. E. Bosworth, *The Early Islamic East* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1994), 45–47.

[38] ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، 217/3

[39] الطبري، محمد بن جرير *تاريخ الرسل والملوك*.418/5

[40] ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، 219/3

[41] Hugh Kennedy, 223–225.

[42] Valerie Hansen, *The Silk Road*, 112.

يعكس طبيعة العلاقة غير المستقرة في تلك الفترة[43].

رابعًا: الصلح ودخول المدينة

انتهى هذا الحصار في بعض مراحله إلى عقد صلح مع أهل سمرقند، وهو نمط متكرر في فتوح ما وراء النهر، حيث لم تكن السيطرة تتم دائمًا عبر الاقتحام، بل عبر التسويات التي تحفظ للمدينة عمرانها وتنظم علاقتها بالدولة الجديدة[44].

وقد كان هذا الصلح يعني عمليًا دخول المدينة في إطار النفوذ الإسلامي، مع بقاء جزء من إدارتها المحلية تحت إشراف السلطة الجديدة، وهو ما سمح باستمرار الحياة الاقتصادية دون انهيار[45].

وتشير دراسة هيو كينيدي إلى أن هذا النمط من الفتح في الشرق الإسلامي كان يعتمد على الدمج التدريجي أكثر من التدمير، وهو ما ساعد على استقرار المناطق المفتوحة بسرعة نسبية[46].

يتبين من هذا أن حملات قتيبة بن مسلم لم تكن مجرد تحركات عسكرية سريعة، بل كانت عملية منظمة اعتمدت على التدرج، والعزل، والحصار، ثم الصلح. وقد أفرزت هذه السياسة فتح سمرقند بوصفه نتيجة لمسار طويل من التمهيد العسكري والسياسي، وليس نتيجة معركة واحدة حاسمة.

2.2. موقف أهل سمرقند من الفتح الإسلامي

أولًا: المقاومة

لم يكن موقف أهل سمرقند من الفتح الإسلامي موقفًا عابرًا أو بسيطًا، بل كان موقفًا مرتبطًا بطبيعة المدينة نفسها، بوصفها إحدى أهم مراكز الصُّغد وأكثرها تنظيمًا واستقلالًا. فقد نشأت سمرقند قبل الإسلام في بيئة سياسية تعتمد على تعدد القوى المحلية، وعلى نظام حكم يقوم على الأسر الحاكمة والتحالفات التجارية، وهو ما جعلها مدينة ذات خبرة طويلة في إدارة الصراع والدفاع عن مصالحها[47].

وقد انعكست هذه البنية السياسية على طبيعة المقاومة التي واجهت بها التوسع الإسلامي، إذ لم تكن مقاومة فردية أو فوضوية، بل كانت مقاومة منظمة تعتمد على أسوار المدينة، وعلى خبرة السكان في القتال داخل المدن المحصنة، إضافة إلى قدرتهم على الاستفادة من طبيعة الإقليم الجغرافي الذي يسمح بالمناورة وإعادة التموضع[48].

كما أن موقع سمرقند في قلب ما وراء النهر جعلها مركزًا تتجمع فيه القوى المحلية، مما جعل مقاومتها تمثل في بعض المراحل تعبيرًا عن موقف إقليمي أوسع، وليس موقف مدينة منفردة فقط[49].

ويشير البلاذري إلى أن مدن الصُّغد كانت من أشد مدن ما وراء النهر مقاومة للفتح الإسلامي، وهو ما ينسحب على سمرقند باعتبارها المدينة الأهم في هذا الإقليم وأكثره تأثيرًا[50].

ومن المهم هنا أن هذه المقاومة لم تكن قائمة على رفض مطلق، بل كانت مرتبطة بتوازنات سياسية وتجارية، إذ كانت المدينة تخشى فقدان موقعها داخل شبكة التجارة الإقليمية التي ترتبط بالصين شرقًا وبخراسان غربًا. وهذا يجعل المقاومة جزءًا من حسابات سياسية واقتصادية بقدر ما هي مواجهة عسكرية[51].

---

43 الطبري، محمد بن جرير. *تاريخ الرسل والملوك*. 421/5.

44 البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر. *فتوح البلدان*. تحقيق صلاح الدين المنجد. القاهرة: دار الفكر، 1956. 414-418.

45 البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر. *فتوح البلدان*، 419

46 Hugh Kennedy, 230–231.

47 ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، 3/214–216 .

48 Valérie Hansen, *The Silk Road: A New History*, p. 90.

49 C. E. Bosworth, *The Early Islamic East*, p. 52.

50 البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر. *فتوح البلدان*، 406

51 المرجع نفسه ، 409

2026 @ Copyright

ثانيًا: طبيعة الصراع

اتسم الصراع حول سمرقند بطبيعة طويلة ومعقدة، لم يكن فيها الحسم العسكري المباشر هو الأسلوب الوحيد، بل تداخلت فيها عناصر الحصار، والمفاوضات، والصلح، ثم العودة إلى القتال عند انهيار الاتفاقات.

وقد اعتمد القائد قتيبة بن مسلم الباهلي على استراتيجية تقوم على عزل المدينة تدريجيًا، من خلال السيطرة على المدن المحيطة بها، ثم الضغط الاقتصادي والعسكري عليها قبل الدخول في المواجهة المباشرة[52].

هذا الأسلوب يعكس فهمًا لطبيعة مدن ما وراء النهر، التي لا تسقط عادة في معركة واحدة، بل عبر سلسلة من الضغوط المتراكمة[53].

وتشير روايات الطبري إلى أن الحملات في هذه المنطقة اتسمت بتغير مستمر في موازين القوى، حيث كانت بعض الاتفاقات تُعقد ثم تُنقض، مما يؤدي إلى تجدد القتال مرة أخرى[54].

وهذا النمط من الصراع يكشف أن الهدف لم يكن تدمير المدينة أو القضاء على بنيتها، بل إدخالها في نظام سياسي جديد يضمن السيطرة والاستقرار، مع الحفاظ على دورها التجاري[55].

ويذهب هيو كينيدي إلى أن الفتح فيما وراء النهر كان يعتمد على "الاستيعاب التدريجي عبر القوة"، وليس على الفتح الصادم السريع، وهو ما يفسر طول مدة الحصار وتعدد مراحله[56].

3. النتائج المباشرة للفتح

1.3. دخول الإسلام

أدى الفتح الإسلامي لسمرقند إلى بداية مرحلة جديدة من التحول الديني، غير أن هذا التحول لم يكن لحظيًا أو شاملًا، بل كان تدريجيًا امتد عبر سنوات طويلة من التفاعل الاجتماعي والاقتصادي والثقافي.

فقد لعبت طبيعة سمرقند التجارية دورًا مهمًا في تسريع هذا التحول، إذ كانت المدينة محطة مركزية على طريق الحرير، يمر بها التجار من الصين وخراسان والعراق، مما جعلها فضاءً مفتوحًا لتبادل الأفكار والعادات إلى جانب السلع[57].

ومع دخول المسلمين إلى المدينة، بدأ الإسلام ينتشر عبر العلاقات اليومية أكثر من كونه فرضًا إداريًا مباشرًا، إذ ساعد وجود الجند والتجار والعلماء على خلق بيئة تواصل ديني وثقافي مستمر[58].

وتشير روايات البلاذري إلى أن سكان المدن المفتوحة في ما وراء النهر لم يُجبروا على تغيير معتقداتهم بشكل فوري، بل استمر وجود عناصر دينية محلية لفترة قبل أن يتوسع الإسلام تدريجيًا[59].

كما يوضح ابن الأثير أن انتشار الإسلام في هذه المنطقة كان بطيئًا لكنه ثابت الاتجاه، حيث بدأ في المدن الكبرى ثم امتد إلى الريف والمناطق المحيطة[60].

2.3. التغير السياسي

أحدث الفتح الإسلامي تحولًا سياسيًا واضحًا في بنية سمرقند، حيث انتقلت المدينة من نظام الحكم المحلي المرتبط بملوك الصُّغد إلى نظام إداري تابع للدولة الإسلامية في خراسان.

---

52 الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، 420/5

53 Hugh Kennedy, *The Great Arab Conquests*, p. 223.

54 الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، *421/5*

55 ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، 218/3.

56 Hugh Kennedy, p. 230.

57 Valérie Hansen, *The Silk Road: A New History*, p. 92.

58 C. E. Bosworth, *The Early Islamic East*, p. 55.

59 البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر *فتوح البلدان*، 408

60 ابن الأثير، عز الدين *الكامل في التاريخ*، دار صادر، بيروت، 1956م.320/4

وقد ترتب على هذا التحول إدخال المدينة ضمن شبكة إدارية واسعة تربطها بالمراكز الكبرى في الدولة الإسلامية، مثل البصرة ودمشق، عبر نظام الولايات[61].

غير أن هذا التحول لم يكن إلغاءً مباشرًا للبنية القديمة، بل جرى بشكل تدريجي، حيث احتفظت المدينة في البداية ببعض إدارتها المحلية، قبل أن يتم إدماجها الكامل في النظام الإداري الجديد[62].

ويشير الطبري إلى أن هذا الأسلوب كان شائعًا في المدن المفتوحة في المشرق، حيث يتم الجمع بين الإدارة المحلية المؤقتة والسلطة المركزية للدولة[63].

كما أن هذا التغير السياسي لم يؤد إلى انهيار النشاط الاقتصادي، بل استمرت سمرقند في أداء دورها التجاري على طريق الحرير، مما يدل على أن الفتح لم يكن قطيعة، بل إعادة تنظيم للبنية القائمة[64].

ويؤكد هيو كينيدي أن هذا النمط من الإدارة ساعد على تحويل المدن المفتوحة إلى مراكز مستقرة داخل الدولة الإسلامية بدل أن تكون مناطق اضطراب دائم[65].

3.3. التحول بعد الفتح الإسلامي لسمرقند

يمثل التحول الذي شهدته سمرقند بعد الفتح الإسلامي مرحلة مفصلية في تاريخ المدينة، إذ لم يكن الفتح حدثًا عابرًا في مسارها الطويل، بل كان بداية لإعادة تشكيل تدريجي لمختلف جوانب الحياة فيها: الدينية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية. فقد دخلت سمرقند إلى المجال الإسلامي وهي مدينة ذات تاريخ عريق في العمران والتجارة، ومركز مهم في إقليم ما وراء النهر، لكنها بدأت منذ أواخر القرن الأول الهجري تتحول شيئًا فشيئًا إلى إحدى الحواضر الكبرى في الشرق الإسلامي[66].

ولا يمكن فهم هذا التحول بمعزل عن طبيعة المدينة قبل الفتح، فهي لم تكن مدينة هامشية أو معزولة، بل كانت جزءًا من شبكة واسعة من المدن والطرق التجارية التي ربطت الصين ببلاد فارس والعراق. وقد جعلها هذا الموقع في حالة تفاعل دائم مع الثقافات والديانات والأفكار المختلفة، مما أوجد أرضية مهيأة لاستقبال التحول الجديد الذي حمله الإسلام[67].

وقد تميز هذا التحول بأنه لم يكن قطيعة مع الماضي، بل كان امتدادًا وإعادة توجيه له في إطار جديد، حيث استمرت البنية العمرانية والاقتصادية، لكن أُعيد تشكيل الإطار الديني والاجتماعي والسياسي تدريجيًا، بما يتناسب مع النظام الإسلامي الجديد الذي امتد في الشرق الإسلامي.

3.3. التحول الديني

أولًا: انتشار الإسلام في سمرقند

لم يكن انتشار الإسلام في سمرقند نتيجة لحظة واحدة أو قرار سياسي مباشر، بل كان نتيجة مسار طويل من التفاعل الاجتماعي والتجاري والسياسي. فقد دخل الإسلام إلى المدينة عبر قنوات متعددة، أهمها وجود الجند المسلمين، والتجار، ثم الإدارة الإسلامية التي استقرت بعد الفتح[68].

وكان للموقع الجغرافي لسمرقند دور مهم في هذا الانتشار، فهي مدينة تقع على طريق الحرير، الذي كان يشكل شريانًا تجاريًا عالميًا يربط بين الصين وخراسان والعراق. وقد جعل هذا الموقع المدينة بيئة مفتوحة للتواصل المستمر بين جماعات مختلفة، وهو ما ساعد على تسرب الإسلام تدريجيًا إلى السكان المحليين دون صدام مباشر واسع[69].

---

61 الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، 430/5

62 ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، 220/3.

63 الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، 432/5

64 ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، 221/3.

65 Hugh Kennedy, p. 235.

66 C. E. Bosworth, *The Early Islamic East*, p. 60.

67 Hugh Kennedy, p. 240.

68 ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، 221/3.

69 Valérie Hansen, *The Silk Road: A New History*, p. 96.

2026 @ Copyright

وتشير المصادر التاريخية إلى أن المدن الكبرى في ما وراء النهر لم تدخل الإسلام دفعة واحدة، بل كانت عملية التحول الديني فيها تتم عبر أجيال، حيث يبدأ الإسلام في الطبقات المرتبطة بالتجارة والإدارة، ثم ينتشر تدريجيًا إلى بقية السكان[70].

ويذكر البلاذري في حديثه عن فتوح ما وراء النهر أن الإسلام في هذه المناطق كان يعتمد في كثير من الأحيان على الصلح والاستقرار، أكثر من الاعتماد على التغيير القسري، وهو ما سمح باستمرار البنية الاجتماعية مع إدخال عنصر ديني جديد تدريجيًا[71].

ثانيًا: بناء المساجد وبداية التأسيس الديني

يمثل بناء المساجد في سمرقند أحد أبرز مظاهر التحول الديني بعد الفتح، إذ لم يكن المسجد مجرد مكان للعبادة، بل كان مركزًا للحياة الدينية والاجتماعية والتعليمية في المدينة.

وقد ارتبط إنشاء المساجد الأولى في سمرقند بمرحلة تثبيت الحكم الإسلامي، حيث سعت الدولة الأموية إلى ترسيخ وجودها الرمزي داخل المدن المفتوحة، وكان المسجد هو العلامة الأبرز لهذا الوجود[72].

ومع مرور الوقت، لم يعد المسجد مجرد رمز سياسي، بل أصبح مؤسسة علمية وتعليمية، حيث بدأ تعليم القرآن والحديث، وتكوين حلقات علمية بسيطة داخل المدينة، وهو ما مهد لاحقًا لظهور حركة علمية أوسع في ما وراء النهر.

ويذكر ياقوت الحموي أن المدن الكبرى في الإقليم شهدت انتشارًا تدريجيًا للمساجد مع زيادة عدد المسلمين، وأن هذه المساجد كانت تُبنى غالبًا في مراكز الأسواق أو بالقرب من مراكز الإدارة، مما يعكس اندماج الدين في الحياة اليومية للمدينة[73].

كما أن وجود المسجد في قلب البنية العمرانية لسمرقند يعكس طبيعة التحول الهادئ الذي لم يقم على إزالة البنية السابقة، بل على إدخال عنصر جديد داخلها.

ثالثًا: استمرار التعدد الديني خلال المرحلة الأولى

لم يكن التحول الديني في سمرقند سريعًا أو شاملًا في بدايته، بل استمر وجود عناصر دينية متعددة داخل المدينة، من بقايا المعتقدات المحلية، إلى جانب بداية انتشار الإسلام.

وتشير بعض الروايات الجغرافية إلى أن مدن ما وراء النهر، ومنها سمرقند، كانت تضم في مراحل مبكرة عناصر دينية مختلفة، وهو ما يعكس طبيعة المجتمع قبل الإسلام، الذي كان مجتمعًا متعدد الطبقات والتقاليد[74].

غير أن هذا التعدد لم يكن عامل صراع دائم، بل كان جزءًا من الواقع الاجتماعي الذي استمر لفترة إلى أن ترسخ الإسلام تدريجيًا في المجتمع.

4.3. التحول الاجتماعي

أولًا: تغير البنية الاجتماعية في سمرقند

شهدت سمرقند بعد الفتح الإسلامي تحولًا اجتماعيًا تدريجيًا لم يكن قائمًا على الإحلال أو التبديل، بل على إعادة تنظيم العلاقات داخل المجتمع القائم وفق متطلبات المرحلة الجديدة. فقد كانت المدينة قبل الفتح تضم بنية اجتماعية مركبة تقوم على وجود طبقات مختلفة، في مقدمتها طبقة الحكام المحليين، وطبقة التجار الكبار، ثم الحرفيين والفلاحين، إضافة إلى عناصر متعددة من السكان المرتبطين بالمدن المجاورة في إقليم الصغد[75].

ومع دخول الحكم الإسلامي إلى المدينة، لم تختفِ هذه البنية فجأة، بل استمرت في وجودها العام، إلا أن طبيعة العلاقات داخلها

---

[70] Valérie Hansen, *The Silk Road: A New History*, p. 97.

[71] البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر. *فتوح البلدان*، 408

[72] Hugh Kennedy, p. 242.

[73] ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، 219/3.

[74] C. E. Bosworth, *The Early Islamic East*, p. 62.

[75] Bosworth, *The Early Islamic East*, p. 52–54.

بدأت تأخذ مسارًا جديدًا يقوم على إعادة ترتيب المكانة الاجتماعية وفق عوامل جديدة، كان أبرزها الارتباط بالإدارة الإسلامية، والانخراط في النشاط التجاري الواسع الذي ازداد مع ارتباط سمرقند بالمدن الكبرى في خراسان والعراق[76].

وقد أدّى هذا التحول إلى بروز فئات اجتماعية جديدة داخل المدينة، أهمها فئة المرتبطين بالإدارة الإسلامية، وفئة التجار الذين توسعت شبكاتهم مع العالم الإسلامي، إضافة إلى فئة من السكان المحليين الذين دخلوا في الإسلام تدريجيًا، مما أوجد حالة من التداخل الاجتماعي التدريجي الذي ميّز المدينة في هذه المرحلة[77].

ولا يعني هذا التحول أن البنية القديمة قد زالت، بل استمرت عناصر منها في إطار جديد، حيث ظل التجار المحليون يحتفظون بدورهم، واستمرت الحرف التقليدية، ولكن ضمن شبكة أوسع من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية التي أصبحت مرتبطة بالدولة الإسلامية[78].

ثانيًا: التفاعل الاجتماعي بين السكان المسلمين والمحليين

أحد أهم مظاهر التحول الاجتماعي في سمرقند يتمثل في طبيعة التفاعل اليومي بين السكان المحليين والمسلمين الوافدين، سواء كانوا جنودًا أو تجارًا أو إداريين. فقد عاشت هذه الفئات جنبًا إلى جنب داخل المدينة، في الأسواق والمراكز العمرانية، وهو ما أسهم في خلق علاقات اجتماعية جديدة تدريجيًا. [79].

وقد لعب النشاط التجاري دورًا مهمًا في هذا التفاعل، إذ كانت سمرقند تقع على طريق الحرير، الذي جعلها نقطة التقاء للتجار من الصين وخراسان والعراق، إضافة إلى التجار المسلمين الذين أصبحوا جزءًا أساسيًا من هذا النشاط. وهذا التداخل التجاري أدى إلى تفاعل ثقافي واجتماعي واسع، انعكس على أنماط الحياة اليومية في المدينة[80]

وتشير المصادر الجغرافية إلى أن المدن التجارية الكبرى غالبًا ما تكون أكثر قابلية للتفاعل الاجتماعي، بسبب كثافة الحركة فيها وتعدد عناصرها السكانية، وهو ما ينطبق على سمرقند في هذه المرحلة[81].

كما أن وجود الإدارة الإسلامية في المدينة ساهم في تنظيم هذا التفاعل، حيث أصبحت هناك قواعد عامة تنظم العلاقات داخل السوق، وفي التعاملات المالية، وفي إدارة شؤون المدينة، مما ساعد على استقرار الحياة الاجتماعية تدريجيًا. [82].

ثالثًا: استمرار العناصر المحلية داخل المجتمع الجديد

رغم التحول التدريجي الذي شهدته سمرقند، فإن المجتمع المحلي احتفظ بجزء كبير من خصائصه السابقة، خاصة في العادات اليومية والأنماط الاجتماعية العامة. فقد استمرت بعض التقاليد المحلية في الحياة اليومية، إلى جانب دخول عناصر جديدة مرتبطة بالحياة الإسلامية[83].

ويظهر هذا بشكل واضح في التدرج الذي اتسم به انتشار الإسلام، حيث لم يؤدِ إلى إلغاء مباشر للعادات القديمة، بل جرى التعايش بينها وبين العناصر الجديدة لفترة من الزمن، إلى أن بدأ الإسلام يأخذ موقعه التدريجي في البنية الاجتماعية العامة للمدينة[84].

ويشير عدد من الباحثين إلى أن المجتمعات في ما وراء النهر كانت تتسم بقدرة عالية على استيعاب التحولات دون انهيار البنية الاجتماعية، وهو ما ساعد على استمرار استقرار المدن الكبرى مثل سمرقند بعد الفتح[85].

---

[76] Hugh Kennedy, *The Great Arab Conquests*, p. 240.
[77] Richard Foltz, *Religions of the Silk Road*, p. 115.
[78] ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، 221/3.
[79] Valerie Hansen, *The Silk Road*, p. 96.
[80] Hugh Kennedy, *The Great Arab Conquests*, p. 244.
[81] Bosworth, *The Early Islamic East*, p. 58.
[82] Hugh Kennedy, *The Great Arab Conquests*, p. 245.
[83] C. E. Bosworth, *The Early Islamic East*, p. 62.
[84] Philip D. Curtin, *Cross-Cultural Trade in World History* .147.
[85] Foltz, Richard. *Religions of the Silk Road*. 2nd ed. New York: Palgrave Macmillan, 2010.79

2026 @ Copyright

رابعًا: تشكل هوية اجتماعية جديدة تدريجيًا

مع مرور الوقت، بدأت تتشكل داخل سمرقند هوية اجتماعية جديدة تجمع بين عناصر محلية قديمة وعناصر إسلامية وافدة. فقد أصبح الانتماء الديني أحد العناصر المهمة في تشكيل العلاقات الاجتماعية، إلى جانب استمرار أهمية التجارة والمكانة الاقتصادية.

كما بدأت تظهر أنماط جديدة من العلاقات الاجتماعية المرتبطة بالمساجد والأسواق ومجالس العلم، وهي مؤسسات لم تكن موجودة بالشكل نفسه قبل الفتح، لكنها أصبحت تدريجيًا جزءًا من الحياة اليومية في المدينة.

هذا التداخل بين القديم والجديد لم يؤد إلى قطيعة اجتماعية، بل إلى تكوين مجتمع جديد بملامح مركبة، احتفظ فيه السكان بجزء من ماضيهم، بينما اندمجوا تدريجيًا في إطار حضاري أوسع.

5.3. دخول سمرقند في العالم الإسلامي

أولًا: ارتباط سمرقند بخراسان والعراق

بعد استقرار الحكم الإسلامي في سمرقند، أصبحت المدينة جزءًا من شبكة إدارية واسعة تمتد من خراسان إلى العراق، وهي الشبكة التي شكّلت العمود الإداري والسياسي للدولة الإسلامية في المشرق[86].

وقد كانت خراسان تمثل القاعدة الأساسية لإدارة مناطق ما وراء النهر، بينما كانت العراق تمثل المركز السياسي والعلمي الأهم في الدولة الإسلامية، مما جعل سمرقند تقع في موقع وسيط بين هذين المركزين، وهو ما منحها أهمية خاصة في النظام الإداري الجديد[87].

هذا الارتباط لم يكن إداريًا فقط، بل كان اقتصاديًا وثقافيًا أيضًا، حيث أصبحت سمرقند جزءًا من حركة تجارية واسعة تربط الشرق بالغرب الإسلامي، إضافة إلى انتقال العلماء والفقهاء والموظفين الإداريين إليها بشكل تدريجي[88].

ثانيًا: دور سمرقند في الدولة الإسلامية

مع مرور الوقت، لم تعد سمرقند مجرد مدينة مفتوحة حديثًا، بل أصبحت واحدة من المدن المهمة في الشرق الإسلامي، نظرًا لموقعها التجاري ودورها في شبكة طريق الحرير.

فقد تحولت إلى مركز لتبادل السلع القادمة من الصين وبلاد الترك، والمتجهة إلى خراسان والعراق والشام، مما جعلها جزءًا من اقتصاد واسع الامتداد داخل الدولة الإسلامية[89].

كما بدأت المدينة تأخذ دورًا علميًا تدريجيًا، حيث أصبحت تستقبل العلماء والفقهاء، وبدأت حلقات العلم تتشكل فيها، وهو ما مهد لاحقًا لظهور مراكز علمية كبرى في ما وراء النهر في القرون التالية.

ويشير عدد من المؤرخين إلى أن المدن الشرقية في الدولة الإسلامية لم تكن مجرد أطراف تابعة، بل أصبحت مراكز إنتاج اقتصادي وثقافي لها تأثير داخل العالم الإسلامي نفسه[90].

ثالثًا: اندماج تدريجي في المجال الحضاري الإسلامي

لم يكن دخول سمرقند إلى العالم الإسلامي لحظة واحدة، بل كان مسارًا تدريجيًا طويلًا، بدأ بالفتح، ثم الاستقرار السياسي، ثم التفاعل الاجتماعي، وصولًا إلى الاندماج الكامل في المجال الحضاري الإسلامي.

وقد ساعد هذا الاندماج على استمرار ازدهار المدينة، حيث لم تفقد دورها التجاري، بل ازدادت أهميتها مع توسع الدولة الإسلامية

---

[86] الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، 427/5

[87] Hugh Kennedy, *The Great Arab Conquests*, p. 246.

[88] C. E. Bosworth, *The Early Islamic East*, p. 62.

[89] Valerie Hansen, *The Silk Road*, p104.

[90] Foltz, Richard. *Religions of the Silk Road*. 120

شرقًا، وتحولها إلى مركز يربط بين الصين والعراق وخراسان[91].

وهكذا أصبحت سمرقند جزءًا من شبكة حضارية واسعة، لا تقوم فقط على الحكم السياسي، بل على التبادل التجاري والثقافي والمعرفي، وهو ما جعلها تحتل موقعًا مهمًا في تاريخ العالم الإسلامي الوسيط.

6.3.التحول بعد الفتح الإسلامي لسمرقند

يمثل التحول الذي شهدته سمرقند بعد الفتح الإسلامي مرحلة تأسيسية في تاريخها الطويل، إذ لا يمكن فهم مكانتها اللاحقة في العالم الإسلامي دون تتبع هذا المسار التدريجي الذي بدأ بالفتح، ثم الاستقرار، ثم إعادة تشكيل البنية الدينية والاجتماعية والسياسية داخل المدينة. فقد خرجت سمرقند من كونها مدينة ضمن إقليم ما وراء النهر ذات طابع محلي إلى كونها جزءًا من مجال حضاري أوسع امتد من خراسان إلى العراق والشام، بل وتجاوز ذلك إلى شبكة أوسع من العلاقات مع العالم الشرقي عبر طريق الحرير.

لقد اتضح أن التحول في سمرقند لم يكن تحولًا مفاجئًا أو قائمًا على القطيعة، بل كان أقرب إلى مسار تراكمي طويل، تداخلت فيه عوامل متعددة، كان أبرزها الاستقرار السياسي الذي أعقب الفتح، واستمرار النشاط التجاري، واندماج السكان المحليين تدريجيًا في البنية الجديدة للدولة الإسلامية.

كما تبين أن التحول الديني لم يلغِ البنية الاجتماعية السابقة بشكل مباشر، بل جرى ضمن سياق اجتماعي متدرج، بدأت فيه مظاهر الإسلام بالانتشار عبر المسجد والأسواق والإدارة، دون أن يؤدي ذلك إلى انهيار البنية القديمة، بل إلى إعادة تشكيلها وإدماجها في إطار جديد.

ومن جهة أخرى، فإن التحول الاجتماعي في المدينة لم يكن انعكاسًا مباشرًا للفتح فقط، بل كان نتيجة تفاعل طويل بين عناصر السكان المحليين والعناصر الوافدة، سواء من الجند أو التجار أو الإداريين، وهو ما أدى إلى ظهور نمط اجتماعي جديد يقوم على التداخل بدل الفصل، وعلى التدرج بدل التحول الحاد.

4. النشاط الاقتصادي والصناعي في سمرقند

يمثل النشاط الاقتصادي والصناعي في سمرقند أحد أهم العناصر التي أسهمت في بناء مكانتها الحضارية داخل العالم الإسلامي، إذ لم تكن المدينة مجرد مركز سياسي أو نقطة عبور تجاري، بل كانت أيضًا مركزًا إنتاجيًا مهمًا تتداخل فيه الصناعات المحلية مع شبكات التجارة الإقليمية والدولية. وقد ساعد موقعها على طريق الحرير، وارتباطها المبكر بالمجال الإسلامي، على تحويلها إلى مدينة ذات طابع اقتصادي متنوع، يجمع بين الإنتاج الزراعي والصناعي والتجاري[92].

وقد اتسم الاقتصاد في سمرقند بقدرة واضحة على التكيف مع التحولات التاريخية، حيث استمرت المدينة في أداء دورها الاقتصادي بعد الفتح الإسلامي، بل ازدادت أهميتها نتيجة اتساع المجال التجاري الإسلامي واندماجها في شبكة أوسع تربط بين الشرق والغرب[93].

1.4. صناعة الورق في سمرقند

أولًا: نشأة صناعة الورق في سمرقند

تُعد صناعة الورق من أبرز التحولات الاقتصادية والصناعية التي شهدتها سمرقند في تاريخها، إذ ارتبطت المدينة في المصادر التاريخية بنقل هذه الصناعة من الشرق الأقصى إلى العالم الإسلامي. وتشير الروايات التقليدية إلى أن هذا الانتقال ارتبط بمعركة طلاس في منتصف القرن الثاني الهجري، حيث أتاح الاحتكاك بين المسلمين والصينيين انتقال بعض التقنيات الصناعية، ومن أبرزها صناعة الورق[94].

غير أن هذا التفسير لا ينبغي فهمه بوصفه حدثًا لحظيًا، بل هو جزء من عملية أوسع من التبادل التقني عبر طرق التجارة، خاصة طريق الحرير الذي كان يربط الصين ببلاد ما وراء النهر وخراسان. وقد كانت سمرقند بحكم موقعها أول مركز إسلامي رئيسي

[91] Hugh Kennedy, *The Great Arab Conquests*, p. 247.
[92] Valerie Hansen, *The Silk Road* .98.
[93] Hugh Kennedy, *The Early Abbasid Caliphate*, p. 110–112.
[94] Valerie Hansen, *The Silk Road* .98.

2026 @ Copyright

يتم فيه تطوير هذه الصناعة وتوطينها بشكل منظم[95]

وقد ساعد توفر المواد الأولية في الإقليم، مثل الكتان والألياف النباتية، إضافة إلى الحاجة المتزايدة في الدولة الإسلامية إلى مواد كتابة أقل تكلفة من الرق، على انتشار هذه الصناعة بسرعة داخل المدينة[96]

ثانيًا: تطور الصناعة وانتقالها إلى بغداد

مع استقرار صناعة الورق في سمرقند، بدأت المدينة تلعب دورًا وسيطًا في نقل هذه الصناعة إلى مراكز الدولة الإسلامية الكبرى، وعلى رأسها بغداد. فقد أصبحت سمرقند مركزًا لإنتاج الورق وتطويره، ثم تصديره إلى مناطق أخرى، خاصة مع توسع الجهاز الإداري للدولة العباسية وازدياد الحاجة إلى الكتابة والتوثيق[97]

وقد أدى ذلك إلى انتقال الورق السمرقندي إلى بغداد، حيث تطورت هناك صناعة الورق بشكل واسع، وأصبح عنصرًا أساسيًا في الحركة العلمية والإدارية داخل الدولة الإسلامية. ويشير بعض الباحثين إلى أن الورق القادم من سمرقند كان يتميز بجودة عالية مقارنة بالمواد المستخدمة سابقًا، مما جعله مطلوبًا في مراكز العلم والكتابة[98]

ويذكر ياقوت الحموي أن سمرقند اشتهرت بصناعة الورق، وهو ما يدل على استمرار دورها الإنتاجي حتى بعد انتقال هذه الصناعة إلى مدن أخرى داخل الدولة الإسلامية[99].

ثالثًا: الأثر الحضاري لصناعة الورق

لم تكن صناعة الورق مجرد نشاط اقتصادي، بل كان لها أثر مباشر في التحول الحضاري داخل العالم الإسلامي، إذ أسهمت في تقليل تكلفة الكتابة، وتوسيع دائرة النسخ والتأليف، مما أدى إلى ازدهار الحركة العلمية بشكل غير مسبوق[100]

وقد ساعد انتشار الورق على تطور المؤسسات العلمية، مثل حلقات العلم والمساجد والمدارس لاحقًا، حيث أصبح إنتاج الكتب أكثر سهولة وانتشارًا، وهو ما جعل المعرفة أكثر تداولًا داخل المجتمع الإسلامي[101]

وبذلك يمكن القول إن سمرقند لم تكن فقط مركزًا لنقل صناعة الورق، بل كانت أحد العوامل غير المباشرة في بناء الثقافة الكتابية في الحضارة الإسلامية.

2.4. الصناعات الأخرى في سمرقند

أولًا: صناعة النسيج

إلى جانب صناعة الورق، اشتهرت سمرقند بصناعة النسيج، وخاصة الأقمشة الحريرية والفاخرة، التي كانت تُنتج في ورش محلية تعتمد على خبرات تراكمت عبر قرون من التفاعل مع مناطق آسيا الشرقية.

وقد استفادت هذه الصناعة من موقع المدينة على طريق الحرير، حيث كانت المواد الخام مثل الحرير تصل من الصين والمناطق المجاورة، ثم تُعاد معالجتها داخل سمرقند وتوزيعها إلى أسواق خراسان والعراق والشام[102].

ويشير ابن بطوطة إلى جودة الأقمشة في مناطق ما وراء النهر، ومنها سمرقند، مما يدل على استمرار هذه الصناعة وازدهارها في العصور اللاحقة[103]

---

95 C. E. Bosworth, *The Early Islamic East*, p. 70.
96 Jonathan Bloom, *Paper Before Print*, p. 45–47.
97 Hugh Kennedy, *The Early Abbasid Caliphate*, p. 115.
98 Jonathan Bloom, *Paper Before Print*, p. 50–52.
99 ياقوت الحموي، معجم *البلدان*،217/3
100 Jonathan Bloom, *Paper Before Print*, p. 67.
101 C. E. Bosworth, *The Early Islamic East*, p. 97.
102 Valerie Hansen, *The Silk Road* 142.
103 ابن بطوطة، *تحفة النظار*، 39/3

ثانيًا: الصناعات المعدنية

كما عرفت سمرقند نشاطًا مهمًا في الصناعات المعدنية، خاصة في إنتاج الأدوات الحرفية والزراعية وبعض المعدات العسكرية. وقد ارتبط هذا النشاط بوجود طلب محلي وإقليمي على هذه المنتجات، إضافة إلى توفر بعض المواد الخام في الإقليم[104]

وتشير المصادر الجغرافية إلى أن مدن ما وراء النهر كانت تشتهر بمهاراتها الحرفية، وأن الصناعات المعدنية كانت جزءًا مهمًا من اقتصادها المحلي، إلى جانب الزراعة والتجارة[105]

وقد ساعد هذا التنوع الصناعي على تعزيز مكانة سمرقند كمركز إنتاجي، وليس مجرد مدينة عبور تجاري.

ثالثًا: التكامل بين الصناعات والاقتصاد المحلي

لم تكن الصناعات في سمرقند منفصلة عن بعضها البعض، بل كانت مرتبطة ببنية اقتصادية متكاملة، حيث دعمت الزراعة النشاط الصناعي، بينما دعمت الصناعة التجارة، في حين وفرت التجارة أسواقًا واسعة لتصريف المنتجات[106]

وقد أدى هذا التكامل إلى جعل المدينة قادرة على الاستمرار في النمو الاقتصادي حتى في فترات التحولات السياسية، لأنها لم تعتمد على عنصر واحد فقط في اقتصادها.

3.4. أثر الاقتصاد في ازدهار المدينة

أولًا: دعم الحركة العلمية

كان للاقتصاد المزدهر في سمرقند أثر مباشر في دعم الحركة العلمية داخل المدينة، إذ وفّر الاستقرار الاقتصادي بيئة مناسبة لظهور العلماء والفقهاء والنسّاخ، كما ساعدت وفرة الموارد على دعم المؤسسات الدينية والتعليمية.

وقد ارتبط ازدهار العلم في سمرقند بانتشار الورق، الذي سهّل عملية نسخ الكتب وتداولها، مما أدى إلى زيادة الإنتاج العلمي وانتشاره في المدينة[107]

كما أن النشاط التجاري الواسع جذب إلى المدينة فئات متعددة من العلماء والطلاب، مما جعلها مركزًا علميًا تدريجيًا داخل ما وراء النهر.

ثانيًا: تنشيط التجارة وتوسيع الشبكات الاقتصادية

أسهم النشاط الصناعي في تنشيط التجارة في سمرقند بشكل كبير، حيث أصبحت المدينة مركزًا لتبادل السلع بين الشرق والغرب. فقد كانت المنتجات الصناعية مثل الورق والمنسوجات والمعادن تُصدر إلى خراسان والعراق والصين، مما جعل المدينة حلقة رئيسية في الاقتصاد الإقليمي[108]

وقد عزز هذا الدور موقعها على طريق الحرير، الذي جعلها محطة رئيسية للقوافل التجارية، ومركزًا لتبادل السلع والثقافات في آن واحد[109]

وبذلك أصبحت سمرقند جزءًا من شبكة اقتصادية عالمية مبكرة، ساعدت على تعزيز مكانتها داخل الدولة الإسلامية.

ثالثًا: الاقتصاد كعامل استقرار حضاري

يمكن القول إن الاقتصاد في سمرقند لم يكن مجرد نشاط إنتاجي، بل كان عنصرًا أساسيًا في استقرار المدينة واستمرار ازدهارها

---

[104] ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، 218/3

[105] Richard Foltz, *Religions of the Silk Road*, 89.

[106] Hugh Kennedy, *The Early Abbasid Caliphate*, p. 118-120.

[107] Jonathan Bloom, *Paper Before Print*, p60–62.

[108] Valerie Hansen, *The Silk Road* 102.

[109] Hugh Kennedy, *The Early Abbasid Caliphate*, p. 121-123.

2026 @ Copyright

عبر العصور. فقد وفر النشاط الاقتصادي قاعدة ثابتة سمحت للمدينة بالاندماج في الدولة الإسلامية دون انهيار، بل مع استمرار دورها وتوسعه[110].

وهكذا يظهر أن القوة الاقتصادية لسمرقند كانت أحد الأسباب الرئيسية في قدرتها على التحول من مدينة إقليمية إلى مركز حضاري مهم داخل العالم الإسلامي.

5. مكانة سمرقند في العالم التركي الإسلامي

تُمثل سمرقند واحدة من أهم المدن التاريخية في آسيا الوسطى التي لعبت دورًا محوريًا في تشكيل البنية الحضارية للعالم التركي الإسلامي، إذ لم تكن مجرد مدينة إقليمية ضمن ما وراء النهر، بل تحولت عبر قرون طويلة إلى مركز تفاعل حضاري جمع بين العناصر التركية والصُّغدية والإسلامية في إطار تاريخي واحد[111].

وقد اكتسبت هذه المكانة نتيجة تراكم عوامل متعددة، أبرزها الموقع الجغرافي على طريق الحرير، والاندماج المبكر في الدولة الإسلامية، ثم دخول العنصر التركي في البنية السياسية والعسكرية للإقليم منذ العصر العباسي وما بعده، مما جعل المدينة جزءًا من فضاء حضاري تركي–إسلامي واسع امتد تأثيره إلى بخارى وخوارزم ثم إلى مناطق أبعد[112].

1.5. دور سمرقند في آسيا الوسطى

أولًا: علاقتها ببخارى

شكّلت سمرقند وبخارى ثنائية مركزية في تاريخ ما وراء النهر، حيث مثلتا معًا قطبي الإقليم الأكثر تأثيرًا من الناحية السياسية والاقتصادية والعلمية. وقد اتسمت العلاقة بين المدينتين بالتكامل أكثر من التنافس، إذ كانت سمرقند تميل إلى الدور التجاري والاقتصادي، بينما برزت بخارى كمركز علمي وديني مهم[113].

وقد أشار المستشرق الروسي فاسيلي بارتولد إلى أن المدينتين كانتا تمثلان "قلب الحياة الحضارية في تركستان الإسلامية"، وأن الحركة بينهما لم تكن تنقطع، سواء عبر التجارة أو عبر انتقال العلماء والفقهاء بينهما[114].

كما تؤكد المصادر الجغرافية الإسلامية أن الطريق بين بخارى وسمرقند كان من أكثر الطرق نشاطًا في الإقليم، وهو ما جعل المدينتين تعملان داخل نظام اقتصادي واحد تقريبًا[115].

وقد أسهم هذا الترابط في خلق وحدة حضارية داخل ما وراء النهر، حيث لم تكن المدن وحدات منفصلة، بل أجزاء من منظومة متكاملة.

ثانيًا: علاقتها بخوارزم

أما خوارزم، فقد كانت تمثل الامتداد الشمالي لسمرقند داخل آسيا الوسطى، وكانت بوابة الاتصال بين المناطق الإسلامية والمجالات التركية الشمالية. وقد ارتبطت سمرقند بخوارزم بعلاقات تجارية نشطة، خاصة في المنتجات الزراعية والمنسوجات وبعض الصناعات المعدنية[116].

ويشير كليفورد إدموند بوزورث إلى أن خوارزم وسمرقند كانتا تشكلان معًا محورًا اقتصاديًا مهمًا في شمال شرق العالم الإسلامي، حيث تتكامل الأدوار بين الإنتاج الزراعي والصناعي والتجاري[117].

كما لعبت حركة العلماء والتجار بين المنطقتين دورًا في نقل المعرفة وتوسيع شبكة العلاقات الثقافية، مما جعل الإقليم الشمالي

---

110 Richard Foltz, *Religions of the Silk Road*, 125.
111 V. V. Barthold, *Turkestan Down to the Mongol Invasion*, 4th ed. (London: Luzac & Co., 1958), 77.
112 C. E. Bosworth, *The Early Islamic East*, p. 41.
113 المقدسي، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، 305
114 Barthold, *Turkestan*, 82.
115 ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، 216/3
116 C. E. Bosworth, *The Early Islamic East*, p. 49.
117 Ibid., 52.

جزءًا من المجال الحضاري التركي الإسلامي المتصل.

ثالثًا: سمرقند كمركز إقليمي محوري

من خلال علاقتها ببخارى وخوارزم، يتضح أن سمرقند كانت مركزًا محوريًا داخل آسيا الوسطى، وليست مجرد مدينة ضمن الإقليم، بل نقطة ارتكاز في شبكة المدن الكبرى.

وقد جعلها هذا الموقع تلعب دور الوسيط بين الجنوب الإسلامي (خراسان والعراق) والمناطق التركية في الشمال، مما منحها وظيفة حضارية مزدوجة: نقل السلع من جهة، ونقل الثقافة والمعرفة من جهة أخرى[118].

2.5. التأثير الحضاري لسمرقند في العالم التركي الإسلامي

أولًا: تأثيرها في المجال العلمي

لعبت سمرقند دورًا بارزًا في تشكيل الحياة العلمية داخل العالم التركي الإسلامي، حيث كانت مركزًا مهمًا لنقل العلوم الإسلامية إلى آسيا الوسطى، ومكانًا لتكوين طبقات من العلماء في مجالات الفقه والحديث واللغة والرياضيات.

وقد ساعد موقعها التجاري على جذب العلماء من مختلف الأقاليم، مما جعلها بيئة علمية متعددة الاتجاهات، تتفاعل فيها المدارس الفكرية القادمة من خراسان والعراق وما وراء النهر[119].

ويشير بارتولد إلى أن سمرقند كانت من أهم مراكز العلم في آسيا الوسطى قبل العصر المغولي، وأنها لعبت دورًا مهمًا في تكوين البيئة العلمية التي ازدهرت لاحقًا في بخارى وسمرقند معًا[120].

وفي السياق التركي، يرى الباحث التركي إلهان كافس أوغلو أن سمرقند أسهمت في تشكيل "الهوية العلمية للحضارة التركية الإسلامية" عبر العصور السلجوقية وما بعدها[121].

ثانيًا: تأثيرها في الاقتصاد

اقتصاديًا، كانت سمرقند أحد أهم المراكز الاقتصادية في العالم التركي الإسلامي، حيث اعتمد اقتصادها على ثلاث ركائز رئيسية: الزراعة، والصناعة، والتجارة.

فقد وفرت الزراعة قاعدة إنتاجية مستقرة بفضل خصوبة الأراضي وشبكات الري، بينما دعمت الصناعات المحلية مثل الورق والنسيج والمعادن النشاط الاقتصادي، في حين لعبت التجارة الدور الأكبر في ربط المدينة بالعالم الخارجي[122].

ويؤكد فاليري هانسن أن سمرقند كانت نقطة رئيسية في شبكة طريق الحرير، وأنها لعبت دورًا اقتصاديًا عالميًا في نقل السلع بين الصين والشرق الإسلامي[123].

كما يضيف بوزورث أن قوة سمرقند الاقتصادية كانت سببًا مباشرًا في استمرار ازدهارها رغم التحولات السياسية المتعاقبة في آسيا الوسطى[124].

3.5 سمرقند كجسر حضاري تركي–إسلامي

يمكن القول إن سمرقند لم تكن مجرد مدينة إنتاج أو علم، بل كانت جسرًا حضاريًا داخل العالم التركي الإسلامي، حيث ربطت بين الشرق الإسلامي والمجال التركي في الشمال.

---

118 Richard Foltz, *Religions of the Silk Road* (New York: Palgrave Macmillan, 2010), 118.
119 Barthold, *Turkestan*, 95.
120 Ibid., 96.
121 İbrahim Kafesoğlu, *Türk Milli Kültürü* (Ankara: Ötüken Neşriyat, 1984), 201.
122 Kennedy, 145.
123 Valerie Hansen, *The Silk Road*, p113.
124 C. E. Bosworth, *The Early Islamic East*, p. 63.

2026 @ Copyright

وقد ساعد تنوع سكانها وتعدد نشاطها الاقتصادي والعلمي على خلق بيئة حضارية مفتوحة، سمحت بانتقال الأفكار والسلع والمهارات عبر مناطق واسعة[125].

ومع توسع النفوذ التركي في العالم الإسلامي، أصبحت سمرقند جزءًا من منظومة حضارية أوسع، ساهمت في تشكيل ملامح الثقافة الإسلامية في الشرق، خاصة في العصر السلجوقي والتيموري[126].

الخاتمة

يتضح من خلال هذا البحث أن سمرقند لم تكن مجرد مدينة من مدن إقليم ما وراء النهر، بل كانت كيانًا حضاريًا متكاملًا تشكل عبر قرون طويلة من التفاعل بين الجغرافيا والتاريخ والسياسة والاقتصاد، حتى أصبحت إحدى أهم الحواضر التي أسهمت في بناء العالم الإسلامي الشرقي، ثم لعبت لاحقًا دورًا محوريًا في تشكيل البنية الحضارية للعالم التركي الإسلامي.

فقد بيّنت الدراسة أن الموقع الجغرافي لسمرقند في قلب إقليم الصُّغد وعلى تخوم ما وراء النهر كان العامل التأسيسي الأول في تكوين شخصيتها التاريخية، إذ جعلها هذا الموقع نقطة التقاء بين الشرق والغرب، وممرًا رئيسيًا على طريق الحرير، الأمر الذي منحها وظيفة مزدوجة: مدينة إنتاج من جهة، ومدينة عبور وتبادل من جهة أخرى.

كما أوضحت الدراسة أن هذا الموقع لم يكن عنصرًا جغرافيًا محايدًا، بل كان عاملًا فاعلًا في تشكيل البنية الاقتصادية والاجتماعية للمدينة، حيث أسهم في ازدهار الزراعة بفضل الأنهار وشبكات الري، كما دعم نشوء الصناعات الحرفية، وخصوصًا صناعة الورق والنسيج والمعادن، وهو ما جعل سمرقند مدينة متعددة الموارد قادرة على الاستمرار والنمو عبر العصور.

أما في مرحلة الفتح الإسلامي، فقد تبين أن دخول سمرقند في المجال الإسلامي لم يكن حدثًا عسكريًا مجردًا، بل كان عملية تاريخية مركبة امتدت عبر مراحل من الحصار والصلح وإعادة التنظيم الإداري، ارتبطت باسم قتيبة بن مسلم الباهلي ضمن سياسة الدولة الأموية في تثبيت النفوذ في خراسان وما وراء النهر.

وقد أظهرت الدراسة أن هذا الفتح لم يؤدِّ إلى انهيار البنية الحضارية السابقة للمدينة، بل أسهم في إعادة توجيهها داخل إطار حضاري جديد، حيث استمرت الحياة الاقتصادية والاجتماعية، مع إدخال عناصر جديدة مرتبطة بالإدارة الإسلامية، مما جعل عملية التحول أقرب إلى إعادة تشكيل تدريجي منها إلى قطيعة تاريخية.

وفيما يتعلق بالتحول الديني والاجتماعي، فقد اتضح أن انتشار الإسلام في سمرقند كان تدريجيًا، ارتبط بالتفاعل الاجتماعي والتجاري أكثر من الاندماج القسري، حيث لعب المسجد والسوق والحركة العلمية دورًا رئيسيًا في إعادة تشكيل البنية الثقافية للمدينة، حتى أصبحت جزءًا من المجال الإسلامي الواسع.

كما كشفت الدراسة أن النشاط الاقتصادي والصناعي كان أحد أهم العوامل التي أسهمت في ازدهار سمرقند واستمرارها، إذ شكلت صناعة الورق نقطة تحول حضارية كبرى لم تقتصر آثارها على المدينة، بل امتدت إلى بغداد وبقية مراكز العالم الإسلامي، وأسهمت في دعم الحركة العلمية وتطور ثقافة الكتاب.

إلى جانب ذلك، لعبت الصناعات الأخرى مثل النسيج والمعادن والزراعة دورًا مهمًا في دعم الاقتصاد المحلي، وخلق بنية إنتاجية متكاملة جعلت من سمرقند مركزًا اقتصاديًا عالميًا ضمن شبكة طريق الحرير[127].

أما في إطار العالم التركي الإسلامي، فقد تبين أن سمرقند اكتسبت مكانة خاصة باعتبارها مدينة مركزية في شبكة آسيا الوسطى، حيث ارتبطت ارتباطًا وثيقًا ببخارى وخوارزم، وشكلت معهما محورًا حضاريًا متكاملًا، أسهم في نقل المعرفة والثقافة والسلع بين مختلف مناطق العالم الإسلامي الشرقي[128].

كما أن دخول العنصر التركي في المجال السياسي والحضاري للمنطقة عزز من أهمية سمرقند، وجعلها جزءًا من منظومة حضارية أوسع، امتدت من آسيا الوسطى إلى الأناضول لاحقًا، خاصة في العصور السلجوقية والتيمورية، حيث بلغت المدينة

---

125 Foltz, Richard. *Religions of the Silk Road*. 121

126 İbrahim Kafesoğlu, *Türk Milli Kültürü* ,205.

127 Aydınlı, Osman. "Semerkant." في*Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi*36 ،. İstanbul: TDV Yayınları2009 ،312.

128 Ögel, Bahaeddin. *Türk Kültür Tarihine Giriş*. Ankara: Türk Tarih Kurumu2000 ،.131.

ذروة ازدهارها العلمي والعمراني[129].

ومن ثم يمكن القول إن سمرقند تمثل نموذجًا واضحًا للمدينة التي تشكلت هويتها عبر التراكم التاريخي لا الانقطاع، وعبر التفاعل لا العزلة، حيث تداخل فيها العامل الجغرافي مع الاقتصادي والسياسي والثقافي في صياغة مسار حضاري طويل الأمد.

وتؤكد نتائج البحث أن قوة سمرقند التاريخية لم تكن ناتجة عن عامل واحد، بل عن شبكة من العوامل المتداخلة، أهمها: الموقع الاستراتيجي، والانفتاح التجاري، والاندماج في الدولة الإسلامية، ثم دخولها في المجال التركي الإسلامي، وهو ما منحها قدرة استثنائية على الاستمرار والتجدد عبر العصور.

وبذلك فإن دراسة سمرقند لا تقتصر على كونها دراسة مدينة، بل هي في جوهرها دراسة لنموذج حضاري كامل يوضح كيفية تشكل المدن الكبرى في التاريخ الإسلامي، وكيف يمكن للموقع والتجارة والتفاعل الثقافي أن يصنعوا مركزًا حضاريًا عالميًا في قلب آسيا الوسطى.

References:

[1] ابن الأثير، عز الدين .*الكامل في التاريخ*، دار صادر، بيروت، 1956م

[2] ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي .*تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار* .تحقيق عبد الهادي التازي. الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، 1997.

[3] ابن حوقل، محمد بن حوقل النصيبي .*صورة الأرض* .دار صادر، أفست ليدن، بيروت، ط1، 1938 م.

[4] ابن خرداذبه، عبيد الله بن عبد الله .*المسالك والممالك* .ليدن: بريل، 1889.

[5] الإصطخري، إبراهيم بن محمد .*المسالك والممالك* .بيروت: دار صادر، 2004.

[6] البلاذري، أحمد بن يحيى .*فتوح البلدان* .تحقيق: صلاح الدين المنجد. القاهرة: دار المعارف، 1956.

[7] الطبري، محمد بن جرير .*تاريخ الرسل والملوك* .تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف، 1967.

[8] عبد العزيز الدوري، *العلاقات الاقتصادية في صدر الإسلام* .بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1987.

[9] قاسم، عبد الله يوسف .*بلاد ما وراء النهر في العصر الإسلامي* .القاهرة: دار الفكر العربي، 1985.

[10] المقدسي، محمد بن أحمد البشاري .*أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم* .تحقيق محمد مخزوم. بيروت: دار صادر، 1987.

[11] ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله .*معجم البلدان* .دار صادر، بيروت، ط2، 1995م.

[12] Aydınlı, Osman. "Semerkant." في*Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi*36 ،. İstanbul: TDV Yayınları, 2009.

[13] Barthold, Vasilii V. *Orta Asya Türk Tarihi Hakkında Dersler*. Ankara: Türk Tarih Kurumu Yayınları, 1990.

[14] Barthold, Vasilii Vladimirovich. *Moğol İstilasına Kadar Türkistan*. Ankara: Türk Tarih Kurumu Yayınları, 1990.

[15] Golden, Peter B. *Türk Halkları Tarihine Giriş*. İstanbul: Ötüken Yayınları, 2002.

[129] Golden, Peter B. *Türk Halkları Tarihine Giriş*. İstanbul: Ötüken Yayınları, 2002..176

2026 @ Copyright

[16] Kafesoğlu, İbrahim. *Türk Milli Kültürü*. İstanbul: Ötüken Yayınları, 2014.

[17] Ögel, Bahaeddin. *Türk Kültür Tarihine Giriş*. Ankara: Türk Tarih Kurumu, 2000.

[18] Togan, Zeki Velidi. *Umumi Türk Tarihine Giriş*. İstanbul: Enderun Kitabevi, 1981.

[19] Asimov, M. S., and C. E. Bosworth, eds. *History of Civilizations of Central Asia*. Vol. IV. Paris: UNESCO, 1998.

[20] Barthold, V. V. *Turkestan Down to the Mongol Invasion*. 3rd ed. London: Luzac & Co., 1968.

[21] Bloom, Jonathan M. *Paper Before Print: The History and Impact of Paper in the Islamic World*. New Haven: Yale University Press, 2001.

[22] Christopher I. Beckwith, *Empires of the Silk Road* (Princeton: Princeton University Press, 2009).

[23] Foltz, Richard. *Religions of the Silk Road*. 2nd ed. New York: Palgrave Macmillan, 2010.

[24] Frye, Richard N. *Bukhara: The Medieval Achievement*. Norman: University of Oklahoma Press, 1965.

[25] Kennedy, Hugh. *The Great Arab Conquests*. London: Weidenfeld & Nicolson, 2007.

[26] Millward, James A. *The Silk Road: A Very Short Introduction*. Oxford: Oxford University Press, 2013.

[27] Peter B. Golden, *An Introduction to the History of the Turkic Peoples* (Wiesbaden: Otto Harrassowitz, 1992.

[28] Philip D. Curtin, *Cross-Cultural Trade in World History* (Cambridge: Cambridge University Press, 1984.

[29] Richard Foltz, *Religions of the Silk Road* (New York: Palgrave Macmillan, 2010), Premodern Patterns of Globalization, 2nd ed.